تِلْكَ الطَّبِيعَةُ قُفْ بِنَا يَا سَارِي ... حَتَّى أُرِيكَ بَدِيعَ صُنْعِ البَارِي
الأَرْضُ حَوْلَكَ وَالسَّمَاءُ اهْتَزَّتَا ... لِرَوَائِعِ الآيَاتِ وَالآثَارِ
سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الوُجُودَ مُصَوِّرًا ... تِلْكَ الدُّمَى وَمُقَدِّرِ الأَقْدَارِ

من الذي خلق السماوات والأرض؟ من الذي خلق الحب والنوى؟ من الذي فلق الإصباح، وجعل الليل سكنًا، والشمس والقمر حسبانًا؟ من الذي بدأ خلق الإنسان من طين؟ من الذي أنشأ الخليقة من نفس واحدة؟ من الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى؟

﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾[لقمان:١١].

سبحان من بهرت عظمته عقول العارفين!

سبحان من ظهرت بدائعه لنواظر المتأملين!

سبحان من بهرت أنواره بصائر السالكين!

﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾[المؤمنون:١٤].

نقف مع اسمين من أسماء الله ﷻ وهما: (الخالق والخلاق ﷻ):

قال ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾[الحجر:٨٦]، وقال: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾[الحشر:٢٤].

وربنا الذي أوجد الأشيا جميعها بعد أن لم تكن موجودة، وقد أبدعها على غير مثال سابق، وأفعال الله ﷻ مُقَدَّرة على مقدار ما قدرها عليه.

❐ عظمة الخالق..

كل ما في الكون خلقه، وهو ناطق معترف بألوهيته وربوبيته، وكل ما تراه حولك -وما لا تراه- دليل على الله؛ فهو الذي خلق جميع الموجودات وبرأها وسواها بحكمته، وصورها بحكمته، وهو لم يزل ولا يزال على هذا الوصف العظيم.

كسا العظام لحمًا، واللحم جلداً، وألبس البهائم صوفًا ووبرًا، ونفخ الروح في الجنين وهو في بطن أمه، ثم أخرجه ورزقه وحفظه وعلمه، وخلق الإنسان في أحسن تقويم، وجعل له عينين ولسانًا وشفتين، وهداه النجدين، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾[الانفطار:٧-٨]، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾[المؤمنون:١٤].

وَكَذِلِكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ ... الخَلَّاقُ بَاعِثُ هَذِهِ الأَبْدَانِ

ربُّنا ﷻ خلق الخلق ليعرفوه ويعبدوه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[الذاريات:٥٦].

❐ تناغم الكون:

وجميع المخلوقات لم تخلق لهوًا أو عبثًا أو لعبًا -تنزه الله وتقدس عن ذلك!-، قال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾﴾[الأنبياء: ١٦-١٨].

فالموجودات بأسرها شواهد صفات الرب ونعوته ﷻ، فهي كلها تشير إلى الأسماء الحسنى وحقائقها، وتناديها، وتدل عليها.

تَأَمَّلْ سُطُوْرَ الكَائِنَاتِ فَإِنَّهَا ... مِنَ المَلِكِ الأَعْلَى إِلَيْكَ رَسَائِلُ
وَقَدْ خُطَّ فِيهَا لَوْ تَأَمَّلْتَ خَطَّهَا ... أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلاَ اللهَ بَاطِلُ
تُشِيرُ بِإِثْبَاتِ الصِّفَاتِ لِرَبِّهَا ... فَصَامِتُهَا يَهْدِي وَمَنْ هُوَ قَائِلُ

قال ﷻ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[القمر:٤٩].

يقول الأطباء: "إن فتحة الحنجرة قد قدرت تقديرًا دقيقًا جدًّا؛ حيث لو اتسعت قليلاً جدًّا أكثر مما هي عليه لاختفى صوت الإنسان، ولو ضاقت قليلاً جدًّا أكثر مما هي عليه لأصبح التنفس عسيرًا"، فإما أن يكون التنفس مريحاً ويختفي الصوت، أو أن يكون الصوت واضحًا ويصعب التنفس.

﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾[النمل: ٨٨].

لو أن الرؤية زادت عن حدها الذي هي عليه لأصبحت حياتنا جحيمًا!

إنك إذا نظرت إلى كأس الماء الذي تشربه الآن تراه صافيًّا عذبًا فراتًا رائقًا، لو أن قوة البصر زادت قليلاً ودقت أكثر مما هي عليه لرأيت في هذا الكأس العجب العجاب! لرأيت الكائنات الحية، والجراثيم غير الضارة بعدد لا يحصى! إنك لن تشرب الماء عندها، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[القمر: ٤٩].

ولو أن قوة السمع ارتفع مستواها قليلاً لما أمكنك أن تنام الليل؛ لأن الأصوات كلها تتلقفها، بل إن أصوات جهاز الهضم في معدتك وحده تكاد تكون كالمعمل الكبير، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر:٤٩].

ولو أن حاسة اللمس زادت لشعرت بالكهرباء الساكنة التي تحول حياتك جحيمًا لا يطاق، ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات:٢١].

﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾[لقمان:١١].

وتعجب من بعض ذوي الفطر المنكوسة، والأنفس المريضة! يجادلون في الله مع أنه مغروس في ضمائرهم: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾[النمل:

١٤].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾[لقمان:٢٥].

❐ اطمئن!

والمؤمن يعلم أنه عزيز بالخالق؛ فتطمئن نفسه، ويعلم أن الذي خلقه لن يهمله، وأن الله حافظه، وأنه على خير في ضرائه وسرائه، وفي غناه وفقره، وفي شدته ورخائه، ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾[يونس:٦٢].

اللهم! إنا نسألك باسمك الخالق أن تجعلنا من أوليائك.